أقسام الناس في الشفاعة

بعد ذلك ذكر الشفاعة، والناس في الشفاعة ثلاثة أقسام المشركون، والمعتزلة، وأهل السنة. القسم الأول: المشركون القبوريون, يقولون: إن الأولياء وإن السادة يشفعون لأقاربهم، ولمن دعاهم، ولمن والاهم، ولمن أحبهم، ولأجل ذلك يطلبون منهم الشفاعة، فالمشركون الأولون حكى الله عنهم أنهم قالوا: { هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ } (يونس:18) يعنون: معبوداتهم من الملائكة، ومن الصالحين، ونحوهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، أي: يشفعون لنا ، وكذلك يقول القبوريون المعاصرون الآن؛ يقولون: إن الأولياء يشفعون لنا، وإننا لا نجرؤ أن نطلب من الله، بل نطلب منهم وهم يطلبون من الله، ويقولون: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء والصالحين أعطاهم الله الشفاعة، ونحن ندعوهم ونقول: اشفعوا لنا كما أعطاكم الله الشفاعة, ويضربون مثلا بملوك الدنيا فيقولون: إن ملوك الدنيا لا يوصل إليهم إلا بالشفاعة إذا أردت حاجة فإنك تتوسل بأوليائهم ومقربيهم من وزير وبواب وخادم وولد ونحوهم يشفعون لك حتى يقضي ذلك الملك حاجتك ، فهكذا نحن مع الله تعالى نتوسل ونستشفع بأوليائه وبالسادة المقربين عنده ! هذا قول المشركين، يثبتون شفاعة كل ولي من الأولياء لكل من طلبها منه، وقد وقعوا بهذا في شرك الأولين، وقاسوا الخالق بالمخلوقين, والله تعالى ذكر عن مؤمن يس قوله تعالى: { أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا } (يس:23) وذكر الله - تعالى - أن الكفار اعترفوا على أنفسهم بقولهم: { قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } (المدثر:43-48). القسم الثاني: المعتزلة والخوارج , أنكروا الشفاعة لأنهم يعتقدون أن العصاة وأهل الكبائر مخلدون في النار لا يخرجون منها، وأن كل من عمل كبيرة ومات مصرًّا عليها فهو مخلدٌ لا تغني عنه الشفاعة ولا تنفعه ، ويستدلون بالآيات التي فيها نفي الشفاعة مثل قوله تعالى :{ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ } (البقرة:123) ومثل قوله تعالى: { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ } (البقرة:254) ويقولون: هذه الآيات تنفي الشفاعة، فليس هناك شفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لغيره ، هذا ما قاله المعتزلة والخوارج بناءً على تخليدهم أهل الكبائر في النار. القسم الثالث: أهل السنة, يثبتون الشفاعة ولكن بشرطين: الشرط الأول: الإذن للشافع. الشرط الثاني: الرضا عن المشفوع, جمع الله الشرطين في قوله تعالى: { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } (النجم:26) وذكر الإذن في قوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } (البقرة:255) وفي قوله تعالى: { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ } (سبأ:23) { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } (طه:109) وقد تكون هذه الآية جمعت الشرطين، وذكر الرضا في قوله تعالى: { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } (الأنبياء:28) فهذان شرطان للشفاعة، وهي الشفاعة المثبتة: الإذن للشافع، والرضا عن المشفوع له ، والإذن يكون للأنبياء، وعلى رأسهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الناس إذا طلبوا منه الشفاعة لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد حتى يقال له: { ارفع رأسك وسَلْ تُعْطَ ، واشفع تُشفَّع قال: فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب ... } الحديث, هذا دليل على أنه لا يشفع إلا من بعد أن يأذن الله له, وأما الرضا فإن الله لا يرضى عن الكفار كما في قوله تعالى: { وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } (الزمر:7) فإذا كان لا يرضى لعباده الكفر، ولا يرضى الشرك ، فلا يأذن في الشفاعة للكفار، ولا يأذن في الشفاعة للمشركين؛ فالشفاعة خاصة بالموحدين، وحقيقتها أن الله - تعالى - يكرم أولياءه وأنبياءه لينالوا المقام المحمود ويقول سبحانه وتعالى: { اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ... } " الحديث ". رواه البخاري في التوحيد برقم (7439) ومسلم في الإيمان برقم (302). فيحصل منها تكريم الشافع ورفع منزلته ، وأنه يؤتى المقام المحمود الذي وعده الله بقوله تعالى : { عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا } (الإسراء:79) فمن يشفع تعرف منزلتهم وفضيلتهم ، كذلك يحصل منها رحمة المشفوع لهم ، وإخراجهم من العذاب ، تلك فائدة هذه الشفاعة.